

مظاهرات 11 ديسمبر وتداعياتها على المشهد السياسي في الجزائر (1960-1962)

The December 11 demonstrations and their repercussions on the political scene in Algeria (1960-1962)

د. عائدة حباطي

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية، قسنطينة

habbati.aida@gmail.com

habbati.aida@univ-emir.dz

الملخص

تعتبر السنتان الأخيرتان من المراحل الحاسمة في تاريخ الثورة التحريرية، فقد شهدت في ثلثها الأخير تصعيدات متسارعة وأحداث متقاربة، حيث عرفت الحياة السياسية تطورات على الصعيد الداخلي والخارجي في جانبه السياسي والعسكري والدبلوماسي أفضت إلى الخروج من وضعية استعمارية

الكلمات المفتاحية:

فرنسا، المستوطنون ، الجزائريون، ديغول، المظاهرات.

Abstract

The last two years are considered among the decisive stages in the history of the liberation revolution. Its last third witnessed rapid escalations and converging events, as political life witnessed developments on the internal and external levels in its political, military and diplomatic aspects that led to an exit from a colonial situation.

key words:

مقدمة

جاءت مظاهرات 11 ديسمبر 1960 في سياق تاريخي، وعبرت عن واقع مرحلي للثورة بعد ستة سنوات من الثورة، وحقيقة الاستعمار الفرنسي، الذي بلغ مرحلة الشيخوخة، وتراجعت مكانته الرسمية والشعبية بفعل ضربات الثورة التحريرية، فكانت الستين الأخيرتين من عمر الاستعمار الفرنسي حبلً بالأحداث وضغط الدولي والداخلي، انتهت بانفراج لأزمة طال أمدها. ومن هنا جاءت هذه الورقة البحثية بعنوان **مظاهرات 11 ديسمبر وتداعياتها على المشهد السياسي في الجزائر (1960-1962)**، التي نصبوا من خلال إلى الوقوف عند أسباب وتداعيات مظاهرات 11 ديسمبر من جهة. ورسم معالم مرحلة حساسة من مراحل الثورة التحريرية التي بلغ فيها الضغط بين الطرفين المتناحرين الأوج، تولدت عنها وضعية جديدة في علاقات وروابط الطرفين المستعمر والمستعمر.

قسمت المداخلة إلى ثلاثة نقاط وهي الأقطاب الثلاث التي صنعت الحدث:

-السياسة الاستعمارية في عهد الجمهورية الخامسة؛

-تشبث المستوطنون بالجزائر الفرنسية؛

-الجزائر بين الهدوء والعاصفة؛

أولا-السياسة الاستعمارية في عهد الجمهورية الخامسة:

تعتبر الستين الأخيرتان من المراحل الحاسمة في تاريخ الثورة التحريرية، فقد شهدت في ثلثها الأخير تصعيدات متسارعة وأحداث متقاربة زمانيا، بحيث عرفت الحياة السياسية تطورات على الصعيد الداخلي والخارجي في جانبه السياسي والعسكري والدبلوماسي أفضت في الأخير إلى توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار وإعلان الاستقلال.

وخلال هذه الفترة صمم الجزائريون على تحقيق النصر وتشبثوا أكثر بهدفهم في نيل حريتهم، بينما تأرجح الطرف الفرنسي بين تمسكه المستميت بالجزائر الفرنسية والجزائر الجزائرية بفعل عدة العوامل داخلية وإقليمية ودولية.

اعتبرت الثورة الجزائرية في عيون فرنسا عملاً إرهابياً ومنفذوها قطاع طرق وخارجون عن القانون إلا أن امتدادها الأفقي والعمودي جعلها تلجأ خلالها إلى سياسة الكيل بمكيالين التريغيب والترهيب؛ فكانت سنتين الأخيرتين **الأعنف** في تاريخ فرنسا الاستعمارية جراء سياسة الطوق الحدودي الذي عززته مع بداية صيف 1958 ببرنامج شال الجهنمي، فأصبحت المنطقة بين فكي كماشة (موريس وشال) الذي دُعم بقوة عسكرية قدرت 630 ألف مجند سنة 1960 بمشاركة فرق المظليين والقوات البحرية. وقد شنت هذه القوات ضد وحدات جيش التحرير الوطني عمليات عسكرية واسعة شملت كل الولايات وحقت انتصارات ساهمت في خنق الثورة في الولايات الخامسة والرابعة والأولى ثم امتد التضيق إلى الولايتين الثانية والثالثة، فكانت عمليات **عملية المنظار** (jumail) في شهر مارس 1960¹ في المنطقة الثالثة، والأحجار الكريمة في شهر أفريل من نفس السنة في المنطقة الثانية. وقد خلفت هذه العمليات فقدان أزيد من 8000 مجاهد².

كانت **المناطق المحرمة** خلقت اختناقات في المراكز الحضرية الكبرى، كالجائر وهران وقسنطينة، بأن عزلت الولايات عن بعضها البعض عن قيادة الثورة بالخارج. مما خلق شعوراً بأن سفينة الثورة أصبحت مهددة، إلى عمليات تمشيط واسعة مصحوبة بالقمع والتنكيل دفع سكان الريف إلى هجر مداشرهم.

وتعد هذه الإستراتيجية العسكرية المنتهجة جزءاً من السياسة الاستعمارية في الجزائر القائمة على تحطيم وتدمير المنظم للقرى وإفناء سكانها بشبهة مساعدة الثوار، واعتمدت في ذلك سياسة المسؤولية الجماعية؛ كل قتيل في صفوف الفرنسيين يكون مقابله التنكيل بمئات السكان من المدنيين.

¹ خلفت العملية خسائر كبيرة باتلاف ما يقارب 150 ثلث سكان المنطقة و ألف شجرة مثمرة، 250 رأساً من القطيع سيق أعداد أخرى إلى المحتشات.

Alisair horne, **Histoire de la guerre d'Alger**, E. Albin Michel, Paris, 1987, p.350.

² محمد العربي الزبيري وآخرون، كتاب **مرجعي عن الثورة التحريرية، (1954-1962)**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية والثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص.240.

وتؤكد في ذلك **جريدة المجاهد** أن القوات الفرنسية تلقت أوامرا بسحق الحياة البشرية في هذه المناطق¹. فكانت كل المناطق الجزائرية مهددة بإبادة جماعية. مع تصاعد القصف العشوائي للقوى وترحيل السكان وتجميعهم في محتشدات غير إنسانية، عرفت تزايد مضطرد مع عدد المرحليين. وتؤكد من جهتها جريدة **لوموند (Le Monde)** أن تعداد المرحلين بلغ سنة 1960 مليونين نسمة؛ أي ربع سكان الجزائر خاصة في القاعدة الشرقية التي كانت بها عديد من المناطق المحرمة بوثلجة، عين العسل، رمل السوق الزيتونة، وأم الطبول بوحجار. الأمر الذي دفع الجزائريين في هذه القاعدة إلى الفرار إلى الحدود التونسية كلاجئين، إرتفع عددهم بشكل تصاعدي مخيف من 60 ألف لاجئ سنة 1957 إلى 150 ألف مطلع 1960 في مشهد تراجيدي مأساوي قاهر.

والأخطر من ذلك ما قامت به فرنسا من تجارب نووية ابتداء من 1960 بالصحراء الجزائرية، متجاهلة مخاطرها البيئية على المحيط والبشرية. وإخطارات الأمم المتحدة في قرارها سنة 1958، بعد الآثار الصحية التي رصدت عقب تفجير القنبلتين الذريتين في هيروشيما وناغازاكي (أوت 1945)، فكان همها أن تلتحق بالسباق المحموم نحو امتلاك السلاح الأكثر فتكا في العالم الذي افتتحته و.م.أ. جويلية 1945 عند تفجيرها للقنبلة ذرية في نيو مكسيك. وسارت فرنسا في ركاب هذه الدول بتأسيسها لمحافظة الطاقة الذرية 1945 وإطلاقها لبرنامجها النووي بشكل سري، ثم أفصحت عنه بشكل رسمي (22 جويلية 1958) مع وصول ديغول للحكم، وكانت الصحراء الجزائرية فضاء واسعا مفتوحا يسمح لها بإجراء هذه التجارب في أريحية بعيدا عن تأثيراتها المباشرة على محيطها وسكانها. رغم تذبذب الحياة السياسية في فرنسا خلال السنين الأخيرتين نتيجة تداعيات الثورة الجزائرية، إلا أنها صممت على مواصلة تجاربها بتفجير أول قنبلة ذرية باسم اليربوع الأزرق (Gerboise bleue) (13 فيفري 1960) في منطقة رقان من الصحراء الجزائرية². تلتها تفجيرات أخرى على مستوى المنطقة. وقد أثبت الوثائق العسكرية المفرج عنها خطر إسقاطاتها الإشعاعية الذي تعدى البيئة القريبة التي جعل فيها الجزائريون فئران تجارب وكل أنواع الحيوانات إلى غرب إفريقيا وجنوب أوروبا³.

¹ ثلاث قصص عن أعمال الإبادة في الجزائر، **جريدة المجاهد**، ع20، 10 مارس 1958.

² عمار منصور، التفجيرات النووية الفرنسية، في الصحراء الجزائرية، إرث إستعماري ثقيل، مجلة مصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، مج.17، ع1، 2020، ص12-13.

³ المرجع نفسه، ص.19-20.

وعلى صعيد آخر أطلق ديغول في هاتين السنتين مناورات سياسية بالموازاة مع تكثيف المجهود العسكري، كان في ظاهرها الحرص على الخيار السلمي، وباطنها زرع الخلافات في صفوف الثوار، وكسر مساعي الحكومة المؤقتة في تدويل القضية الجزائرية، وإعطاء صورة بيضاء عن فرنسا لدى الرأي العام العالمي.

إذ تعتبر مبادرة ديغول بطرح مشروع سلم الشجعان لإيجاد حل أمني للمسألة الجزائرية ، بعد أن رفض المعالجة السياسية للأزمة، بامتناعه عن الاعتراف بجهة التحرير الوطني الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري بعد إعلانها للحكومة المؤقتة في 19 سبتمبر 1958 بأن تجاوزها وسعى للبحث عن وقف إطلاق نار محلي مع القادة العسكريين في الداخل الذي يعتبر في حقيقته استسلام مقنع.

لم يتوان ديغول عن تجديد الدعوة لمشروع سلم الشجعان في 14 جوان 1960 بقوله: "...إني أعتقد أننا لم نكن أقرب إلى حل حقيقي مما نحن الآن...،إننا نضمن الحرية الكاملة للاستفتاء...،وجميع الاتجاهات ستساهم في المناقشات... إنني أتوجه مرة أخرى باسم فرنسا إلى قادة الثورة، وأصرح لهم بأننا ننتظرهم هنا لنجد معهم نهاية مشرفة للمعارك التي لا تزال جارية، نسوي مصير الأسلحة والمكافحين وبعد ذلك يبذل كل شيء ليقول الشعب الجزائري يكلمته في كنف الهدوء".¹ وبفشل هذا المشروع ومقاطعة الجزائريين للانتخابات الجهوية التي سبقته في ماي 1960، عاد ديغول مجددا للحديث عن تقرير المصير الأمر الذي مهد للقاء مولان.

لكن كانت زيارته -ديغول- للجزائر في 9 ديسمبر 1960 قد أخلطت ما تبقي من أوراق رابحة في يد هذا الأخير، حيث لم يجد الترحيب الذي كان يود أن يستقبل به في الجزائر التي أعلن منها عن مشروع الجزائر الفرنسية التي تسع المجتمعين ما اصطلاح عليه (الأخوة)، ومن خلفها مناورة سياسية في إطار التحضير للدورة العادية لجمعية الأمم المتحدة التي كانت ستعقد في الشهر نفسه، وهو ما رفضه الجزائريون وعبروا عنه في انتفاضتهم 11 ديسمبر. وواجه نفس الرفض من غلاة المستوطنين الذي مثلوا في الجزائر قوة سياسية وعسكرية واقتصادية ضاغطة تحكمت في تسير المستعمرة وتعيين هرم السلطة بفرنسا وإحداث تمردات عسكرية على مستوى جيشها. وقد ترك ذلك

¹ تاريخ تقرير المصير في خطب ديغول، جريدة المجاهد، ع.71، 27 جوان 1960.

ألمأ، حيث صرح وزير الأخبار في حكومة ديغول أن هذا الأخير تألم شديدا بعد مظاهرات ديسمبر 1960، وأنه مصمم على استخلاص الدرس وإعادة النظر في القضية الجزائرية.¹

عرفت السياسة الدغولية في السنتين الأخيرتين معارضة قوية بتأسيس جبهة الجزائر الفرنسية (FAF) لجعل ديغول يتراجع عن فكرة تقرير المصير. هذه الجبهة التي بدأت تنشط بشكل رسمي في جوان 1960، برئاسة جون ماري لوبان ، جاك سوستال، جورج بيدو وانضم إليها أيضا مجموعة من الجنيرالات كجوهو وسالان، عدد من بني وي وي كالباشاغا بوعلام². قد عبرت هذه الأجواء مدى زعزعت هرم سلطة الإليزي جراء المسألة الجزائرية.

وبدوره عرف الجيش الفرنسي هزات في هيكله الداخلي بحركات عصيان مجنديه للأوامر ورفض بعضهم الالتحاق بالجيش أو فرارهم منه، حيث كانوا يسمون الجزائر بالموت الأحمر ، وإن كانت الظاهرة اتسمت بالسرية مع إعلان حالة الطوارئ في الجزائر 1955، إلا أنها خرجت عن السيطرة بعد 1960 بأن أصبحت حديث الرأي العام الفرنسي، خاصة بعد صدور عددا من الكتب الفرنسية التي تتحدث عما يحدث في الجزائر، وأثيرت معها مسألة التعذيب وحقوق الإنسان، إلى جانب نشاط حركة المقاومة الشابة (Jeune Resistance) التي كانت تحمي هؤلاء وتدافع عنهم³.

ولللخروج من الوضعيات المخرجة التي أضحت تهدد وحدة فرنسا في حد ذاتها، بادر ديغول بالدخول في مفاوضات رسمية مصحوبة بانتهاج أسلوب التهذئة ، وخلق أجواء من الثقة بقرار تغيير سجن القادة الثوريين الخمسة من جزيرة أكس إلى قصر أولونوا Aulnoy بمولان، وإطلاق سراح بعض المعتقلين.

ثانيا- تشبث المستوطنون بالجزائر الفرنسية:

¹ جريدة المجاهد، ع19، 85 ديسمبر 1960.

² محمد العربي الزيري: تاريخ الجزائر المعاصرة، ج2، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1999، ص151.

³ شعبان إيدو، شبكات دعم الثورة التحريرية في أوروبا الغربية (1957-1962)، أطروحة دكتوراه، جامعة، جيلالي اليابس،

سيدي بلعباس، صص 132-134

ضاعف المستوطنون من جهودهم في السنتين الأخيرتين، وازدادت حالة الرهاب من فقد الجزائر ورفضهم القاطع لفكرة الجزائر جزائرية والتخلي عن مصالحهم في الجزائر، التي لا طالما اعتبروها إقطاعيات خاصة؛ لا ينافسهم فيها أحد. فتعالت لذلك أصواتهم في بعض المجالس المنتخبة، بضرورة إبعاد الأهالي إلى المناطق النائية، حتى يفسح لهم المجال للانتفاع بخيراتهما، وهو ما عبر عنه أحد المستوطنين بقوله: «إن الجزائر هي نحن، أما الأهالي فليس لهم أي حق، فالجزائر ليست بلدهم»⁽¹⁾.

كان اندلاع الثورة بالنسبة للمستوطنين الذين نشبوا أظافهم، وأصبحوا في مركز قوة تتدخل في السلطة وتحاول توجيه موازين القوى، قد هزت -الثورة- استقرارهم في الجزائر وبادروا بتأسيس مجموعات الدفاع الذاتي، كجماعة التراموي (نوفمبر 1954)، الاتحاد الفرنسي لشمال إفريقيا (25 أوت 1955) وكان هذا الأخير تنظيما متطرفا، صرح أمينها العام (ريقاس): "إذا كان من الضروري فسندبح قبل أن نُدبح"⁽²⁾. كما كانت لهم ملشيات وكتائب غير معلنة. دشنت عملها بكتابات جدارية واغتيالات لشخصيات فرنسية وأروبية ومن شمال إفريقيا، فكان من مستهدفاتها رئيس بلدية إيفيان السويسرية التي كانت على موعد لاستقبال أولى المفاوضات بين الطرفين. وكانت لها كتائب من أخطرها **كتائب الجريمة واليأس** التي تضم 500 مسلح³. وقد امتلك هؤلاء المستوطنون ترسانة من الأسلحة وحظوا بحماية الشرطة والجيش الفرنسي. لعب المعمرون دورا هاما في توجيه مركز السلطة الفرنسية وشكلوا نقطة ضغط في مسار الجزائر الاستعمارية في سبيل الاحتفاظ بهذه الأخيرة؛ فكان لهم اليد في وصول الجنرال ديغول للحكم (1958)، ومحاولة إسقاطه وهو ما عكس نفوذهم.

كان مطلع سنة 1960 إذانا بإعلان حالة من التمردات؛ حيث أقام المعمرون متاريس بتاريخ 22 جانفي 1960 وحواجزا في شوارع العاصمة واحتلوا في شكل مليشيات الجامعة المركزية. كما كانت زيارة ديغول المزمع القيام بها في ديسمبر 1960، قد صاحبها مشاريع مخططات لاغتيال رئيس

⁽¹⁾ عبد الحميد زوزو: المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة (مؤسسات ومواثيق)، ط.1، دار هومة، الجزائر، 2005، ص.70.

⁽²⁾ أوليفي دارد، في قلب منظمة الجيش السري، تر.عبد السلام يخلف، فاطمة بن شعلال، موسى أشرشور، مطبعة سيديا، ص.21.

³ محمد عباس نصر بلا ثمن، الثورة الجزائرية (1954-1962)، دار القصة، الجزائر، 2007، ص. 792-793.

الدولة. وسعى الكولون في هذه الأيام على تعطيل سبل العيش بمنع فتح المحلات أو تعرضها للنهب، وإعلان الإضراب، والتجمهر¹.

وأسس المستوطنون التجمع من أجل الجزائر الفرنسية (RAF) لجعل ديغول يتراجع عن فكرة تقرير المصير⁽²⁾. بالإضافة إلى تشجيع المحاولة الانقلابية الفاشلة لجنرالات الجيش الفرنسي (22 أبريل 1961). وتجلى رفض المستوطنين أكثر بتأسيسهم للمنظمة المسلحة السرية أو منظمة الجيش السري (O.A.S) مع التوقيع اتفاقيات إيفيان تضاعف نشاطهم الإجرامي، الذي كان منه مشروع فاطمة، اغتالت فيه المنظمة السرية باغتيال العاملين الجزائريات عند الأروبيين. وقد كانت لهذه الجرائم والتمردات وهدم البنية القاعدية في الجزائر، ونُمو بالمتطرفين والثوار والإرهاب والخارجون عن القانون. وكان لهذه الممارسات أن جعلت المستوطنين يفرون من الجزائر بعد أن كانت ورقة رابحة تعتمد عليها فرنسا.

ثالثا- الجزائر بين الهدوء والعاصفة:

عرف الجزائريون في هذه الثلث الأخير من الثورة التحريرية تطورات واستعدادات لمسايرة التطورات السياسية والعسكرية التي حملتها مشاريع ومخططات الجمهورية الخامسة، بإن حددت جبهة التحرير أهداف مرحلية أنية لمسايرة السنتين الأخيرتين، والتي كان المجلس الوطني للثورة قد حددها في برنامج طرابلس سنة 1959، لتحقيق أهداف حيوية:

- تدويل القضية الجزائرية
- عزل فرنسا دوليا واستئناف العمل المسلح داخل أراضيها.
- تقوية تحالفات الثورة مع البلدان العربية والإفريقية.
- تكثيف النشاط الدبلوماسي ليشمل دول الشرق والغرب.

¹أوليفي دارد، المرجع السابق، ص 74.

⁽²⁾ صرح ديغول (4 نوفمبر 1960) في خطاب له على شاشة التليفزيون ولستعمل فيها عبارة الجزائر الجزائرية" والتي كان قد استعملها أشهرا سابقة، بمدلول تعني الجزائر المتحررة، جزائر جزائريوها هم من يقررون مصيرهم، جزائر جزائريوها هم من يقررون مصيرهم، جزائر جزائريوها هم من يقررون مصيرهم، جزائر إذا ما أراد أبناءها وأرجو أن يكون ذلك هو الحال ستكون لها حكومتها ومؤسساتها وقوانينها" أردفها ديغول بقرارات سريعة عن إعلان تنظيم استفتاء حول تقرير المصير، وخلق وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الجزائرية برئاسة لويس جوكس، أردفها بقراره لزيارة الجزائر 9-13 ديسمبر. الأوليفي دراد، المرجع نفسه، ص75.

سعي الثوار الجزائريين في إحداث أوضاع مقلقة في شمال إفريقيا تؤدي إلى تدويل القضية الجزائرية¹. فشككت مظاهرات 11 من ديسمبر متنفسا لأزمات متداخلة عانت منها جبهة وجيش التحرير الوطني جراء السياسة الفرنسية الديغولية على الصعيد السياسي والعسكري. الذي استهدف المدن؛ فقد عرفت مدينة الجزائر منذ معركة الجزائر شبه عزلة عن الكفاح فكانت بمثابة المدينة المفتوحة، وهو ما جعل الحكومة المؤقتة تسند هذه المنطقة إلى الولاية الرابعة، وتجعلها منطقة سادسة²، فقد أرقق المظليون الذين أوكلت لهم صلاحيات الشرطة، خاصة منها الفرقة العاشرة للمظليين . الذين قاموا بالخطف والسجن والتعذيب والقمع، وكادت مدينة الجزائر التي أولتها جبهة التحرير الوطني اهتمامها الثوري مع ارتفاع التأييد ، أن تهوي بفعل ضربات ماسوا الذي فكك المجموعات الفدائية، وبدورها ، بعد انحصار في الأرياف والجبال عند الانطلاقة الأولى.

وقد أوغل بدوره ديغول في تغليب الطابع العسكري أين قامت القوات الفرنسية بعدد من العمليات العسكرية؛ كعملية الشراة في جبال الحضنة (جويلية 1959)، عملية المنظار في جرجرة (جويلية - نوفمبر 1959)، عملية الأحجار الكريمة في الشمال القسنطيني (جويلية 1959) عملية ماراتون (أفريل 1960) ضد الأراضي التونسية بحجة ضرب وحدات جيش التحرير عملية المحس في جبال الضاية (أفريل - ماي 1960) عملية بروميثيوس في الجنوب الوهراني من (ماي - سبتمبر 1960)، -عملية الزير في الونشريس (جويلية - أوت 1960). وبالموازاة مع ذلك سياسة الإصلاحات الاجتماعية³.

وقد وصفت التقارير والصحافة الفرنسية الجزائر قبل مظاهرات 11 ديسمبر بالهدوء، الذي أوحى للدغوليين، أن الجزائريين مستسلمين لمشاريعهم، وأن الزيارة التي ينوي القيام بها ستدفع إلى إعادة النظر في سياسة مشروعه. الهدوء الذي جعل فرنسا تعتقد أن هناك قطيعة بين الجزائريين في الداخل ومنظمتهم في الخارج (الحكومة المؤقتة)، وهو ما دفع بهم إلى البحث عن حلول معتدلة بعيدة

¹ محمد العربي الزبيري وآخرون، مرجع سابق، ص.223..

² ليلي تيتة، تطور الرأي العام الجزائري إزاء الثورة التحريرية 1954-1962، جامعة لالحاج لخضر، باتنة، 2013-2014، 248.

³ محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، تر. العربي بونون، دار الأمة، الجزائر، ص.233-234.

عن تطرف المستوطنين وما تدعو إليه جبهة التحرير الوطني، هذا الاعتدال الذي سيجدونه في مشروع ديغول.¹

وهذا ما يفسر حجم المفاجأة التي أصابت الفرنسيين بعد ما شهدته الأيام المتوالية من شهر ديسمبر خاصة مدنها والحوضر الكبرى في العاصمة ووهران، قسنطينة، عنابة، البليدة.

وجدت قرارات المجلس الوطني للثورة الجزائرية في دورته الثالثة بتكوين لجنة للتحضير لانتفاضة شعبية أواخر 1960، استجابة سريعة، بأن قامت الجماهير الشعبية في 11 من ديسمبر بمظاهرات عارمة شبهت بديان بيان فو الجديدة، التي أجهضت مشروع ديغول، وأثبتت وعي الجماهير السياسي، وبعث الأمل من جديد في صفوف جبهة وجيش التحرير الوطني، وبأنهم قوة وراء الثورة تستمد وجودها منها -الجماهير-، وإعطاء دفع للقضية الجزائرية أثناء عرضها في الدورة 15. فكانت المظاهرات التي ناد فيها الجزائريون بحرية الجزائر واستقلالها صفعه في وجه ديغول وسياسته الإدماجية.

وبذلك تكون المظاهرات كتعبير عن الرفض، وأسلوب سلمي له من الدلالات القوية في مساندة والتعبئة الشعبية التي كانت تحظى بها جبهة التحرير الوطني، وقد ساهمت في دفع الثورة التحريرية، نحو تحقيق الاستقلال، مع التأكيد على لسان فرحات عباس -رئيس الحكومة المؤقتة- من تونس في 16 من نفس الشهر، أنها (المظاهرات 11 ديسمبر) انتصار لكن هناك معارك أخرى تنتظرنا.²

دفعت فدرالية جبهة التحرير في الخارج بدورها القضية الجزائرية إلى مرحلة الحسم، خاصة منها فرنسا التي كانت بها قوة بشرية تعدادها، 136345 نسمة من بينهم 81.805 مناضل و 39.303 منخرط و 60.278 متعاطف و 4959 تاجر، فاعتبرت منذ الدورة الرابعة للمجلس الوطني للثورة ولاية سابعة في أوت 1961 تابعة للولايات الستة في الداخل.

¹ جريدة المجاهد، ع19، 85 ديسمبر 1960.

² جريدة المجاهد، ع19، 85 ديسمبر 1960.

وقد عكفت الفدرالية على تعبئة الجماهير على اعتبارها المحرك الأساسي والمحيط الحيوي الذي تستمد منه قوتها ومعونتها في كل الظروف. فلا معنى للثورة بدون جماهير. فاستنفرت كل الفئات من المهاجرين الجزائريين عمالا وطلبة وتجارا وحتى من النساء والأطفال في مظاهرات 17 أكتوبر 1961 التي هددت أمن فرنسا التي كانت أراضيها مسرحا لها. ورغم نهايتها المأساوية إلا أن قدمت الدعم المعنوي لولايات الداخل، وكانت لها انعكاسات إيجابية على سير المفاوضات وإطلاع الرأي العام في فرنسا والعالم مدى عنصرية فرنسا وفضح أساليبها القمعية، مما رفع من عدد مؤيديها في العالم وحتى من أراضيها.

وقد حققت جبهة التحرير الوطني خلال هاتين السنتين جزءا كبيرا مما خططت له في هذا البرنامج وعجلت بالضغط على الطرف الفرنسي وإجباره على التفاوض وطاولة الحوار التي اعترفت فيها بجبهة التحرير الوطني كممثل وحيد للجزائريين، وعدم التنازل على شبر واحد من التراب الجزائري بما في ذلك الصحراء الجزائرية التي أراد المفاوضات الفرنسي بقائها تحت سيطرته، وظل يناور بشيء من الغموض على ما أسماه ديغول في خطاباته المناطق غير آهلة بالسكان.

لعبت في هذه المرحلة الدبلوماسية الجزائرية دورا فعالا في تتابع طرح القضية الجزائرية في دورات الأمم المتحدة وإجبارها تحت تأثير ضغط 25 دولة إفريقية وآسيوية بعد تماطل فرنسا عن تنفيذ تقرير المصير. ففي دورتها 15 المنعقدة 20 جويلية 1960 خطت الدبلوماسية الجزائرية خطوة كبيرة إلى الأمام في المجال الدولي باعتراف الأمم المتحدة بأن الوضع في الجزائر يكون تهديدا وخطرا على السلم والأمن العالميين، وأن المشكلة الجزائرية ليست قضية داخلية كما تدعي فرنسا، واعترفت في خضم ذلك أن من طرفي النزاع جبهة التحرير الوطني، واعترفت أيضا بوحدة التراب الجزائري. ومسؤوليتها في توفير الضمانات لتحقيق المصير بثقة ونزاهة وحرية.

كما فضحت الدبلوماسية الجزائرية مرة أخرى للرأي العالمي المساومات من الطرف الفرنسي والضغطات التي تنتهي بإدخال القضية الجزائرية في متاهات ومنعرجات بأن رفضت المساومة على مستقبل البلاد والشعب ووحدة التراب.

فكانت مواضيع فصل الصحراء، والتعذيب ومراكز التجمع والمحتشدات ووضعية اللاجئين، العمليات الدموية حرقا وقمعا وتدميرا، وتعنتها في تطبيق مبدأ حرية الشعوب في تقرير مصيرها قد أفقد فرنسا مكانتها الديمقراطية وكشف عيوب شعارات ثورتها أمام الرأي العام.

وعليه فإن وصول الجزائريين إلى مرحلة وقف إطلاق النار، لم يكن سهلا، وإنما ثمرة تضحيات عظام طيلة 132 سنة، أفلست خزينتها وأجبرتها على الجلوس على طاولة واحدة. وهي التي ضحت بكل مستعمراتها في الإفريقية من أجل الاحتفاظ بها. عرت حقيقتها الإجرامية. أرغمت فيه فرنسا الاستعمارية وأرعبتها الثورة الجزائرية وهو ما استشرفته جريدة لومند (Le Monde) في 14 ديسمبر 1960: "الآن لم يبق لنا إلا أن نحاول المحافظة على الأمن ريثما نحزم امتعتنا ونركب الباخرة"¹.

¹جريدة المجاهد، ع19، 85 ديسمبر 1960.

قائمة المصادر والمراجع

- جريدة المجاهد، ع20، 10 مارس 1958.
- جريدة المجاهد، ع.71، 27 جوان 1960.
- جريدة المجاهد، ع19، 85 ديسمبر 1960.
- أوليفي دارد، في قلب منظمة الجيش السري، تر. عبد السلام يخلف، فاطمة بن شعلال، موسى أشرشور، مطبعة سيديا.
- محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، تر. العربي بوينون، دار الأمة، الجزائر.
- محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصرة، ج2، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1999.
- محمد العربي الزبيري وآخرون، كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية، (1954-1962)، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية والثورة أول نوفمبر 1954، 2007.
- عمار منصوري، التفجيرات النووية الفرنسية، في الصحراء الجزائرية، إرث إستعماري ثقيل، مجلة مصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، مج.17، ع.1، 2020.
- شعبان إيدو، شبكات دعم الثورة التحريرية في أوروبا الغربية (1957-1962)، أطروحة دكتوراه، جامعة، جيلالي اليابس، سيدي بلعباس.
- عبد الحميد زوزو: المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة (مؤسسات ومواثيق)، ط.1، دار هومة، الجزائر، 2005.
- محمد عباس نصر بلا ثمن، الثورة الجزائرية (1954-1962)، دار القصب، الجزائر، 2007.
- يلي تيتة، تطور الرأي العام الجزائري إزاء الثورة التحريرية 1954-1962، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013-2014.

-Alisair horne, **Histoire de la guerre d'Alger**, E.Albin Michel, Paris, 1987.